٣- المعاهدات ومراسلات حسين - مكماهون:

كان لا بد للعرب في نضالهم ضد الدولة العثمانية ان يجدوا متكأ لهم يساعدهم في تحرير اراضيهم وتكوين دولتهم المستقلة لذلك اقر زعماء جمعيتي «العهد» و«الفتاة» المجتمعين في آذار ١٩١٥م في دمشق. ميثاقاً تضمن ادنى الشروط الواجب تحقيقها مقابل دعم العرب لبريطانيا ومؤازرتها ضد الدولة العثمانية. وقد نص الميثاق الذي عرف بميثاق دمشق على استقلال المشرق العربي من الاحتلال العثماني والغاء جميع الامتيازات الاجنبية المعقودة بدون علم العرب او رغماً عنهم.

وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأت المباحثات بين بعض المسؤولين البريطانيين في القاهرة من امثال رونالد ستورز و كلبرت كلايتن وبعض الشخصيات العربية، اصدر بعدها السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر (كانون الثاني ١٩١٥م) بياناً ، بتفويض من الحكومة البريطانية ، تعهد بالاعتراف بقيام دولة عربية مستقلة في شبه جزيرة العرب وتأمين سلامتها. الا ان اغفال البيان للاراضي العربية الاخرى عرقل المباحثات فاعتراها الفتور ثم توقفت في بداية صيف ١٩١٥م .

وفي تموز ١٩١٥م استأنف حسين بن علي شريف مكة المفاوضات مع مكماهون برسائل متبادلة بينهما عرفت فيما بعد بمراسلات حسين - مكماهون. ففي منتصف تموز ١٩١٥م ارسل الشريف حسين اولى مذكراته الى مكماهون واستمرت المراسلات حتى اختتمت في ١٠ آذار ١٩١٦م بمذكرة مكماهون الخامسة للشريف حسين التي جاءت رداً على مذكرة الشريف المؤرخة في ١٨ شباط ١٩١٦م . وبهذه المذكرة انتهت المراسلات. ويمكن تلخيص ما تم التوصل اليه في المراسلات بالشكل التالي:-

١- الالتزامات من الناحية الحربية: لم ينص عليها صراحة اذ تم بحثها شفهياً مع مندوب الشريف. ولكن الشريف فهم ان عليه ان يستخدم جميع قواته ونفوذه أمام الدولة العثمانية مقابل مساعدة بريطانيا للعرب بالسلاح والعتاد والمال.

٢- من الناحية السياسية تعهد الشريف باعلان الثورة العربية وبالتنديد بالحكم العثماني.

٣- كما تعهدت بريطانيا صراحة بتعهدين واضحين الاول الاعتراف بالخلافة العربية في حالة قيامها، والثاني الاعتراف باستقلال العرب ضمن منطقة معينة وحماية هذا الاستقلال.

٤- ان القراءة المتأنية للمراسلات تبين ان رقعة الارض التي اتفق على ان تنال الاستقلال هي ما اقره ميثاق دمشق في ان الدولة العربية المستقلة تمتد من قناة السويس حتى بغداد ومن البحر المتوسط حتى الخليج العربي بما في ذلك فلسطين.

٥- لم يكن المستعمرون البريطانيون ينوون ابداً تنفيذ التزاماتهم بتأسيس الدولة العربية المستقلة التي اتفقوا مع الشريف حسين عليها بموجب المراسلات الآنفة الذكر.

وكان من اوضح امثلة الرياء والخداع الملازمين للمستعمرين اجراء المفاوضات السرية حول اقتسام الارض العربية بين بريطانيا وفرنسا. اذ لم يكد مكماهون ينجز اتفاقيته مع الشريف حسين حتى ابتدأت الخارجية البريطانية مباحثات سرية في لندن مع الحكومة الفرنسية هدفها التوفيق بين مطامع الدولتين، في المشرق العربي.

٦- بعد انتهاء المرحلة التمهيدية للمفاوضات ارسلت الحكومتان ممثلين عنهما الى القاهرة للتشاور وكان ممثل فرنسا جورج بيكو بينما مثل مارك سايكس الحكومة البريطانية. وبعد مفاوضات توجه الاثنان الى بطرسبرج (سانت بطرسبرغ (حاليا)) لبحث مقترحاتهما مع حكومة روسيا القيصرية ، وابتدأت المفاوضات هناك في آذار ١٩١٦م ونتج عنها تفاهم ثلاثي وقع في الشهر نفسه .

٧- وبموجب هذا التفاهم خصصت روسيا لنفسها اسطنبول مع بضعة اميال في الداخل على جانبي البوسفور وحصة كبيرة من شرق الاناضول تضم عملياً اربع ولايات كاملة تجاور الحدود بين روسيا وتركيا، بينما احتفظت فرنسا لنفسها بالقسم الاعظم من سورية وبحصة غير صغيرة من جنوب الاناضول وولاية الموصل في العراق.

اما حصة بريطانيا فكانت تتألف من شريط يمتد من اقصى جنوب سورية عبر

العراق حيث ينتشر كالمروحة ليشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا وهي تضم ايضا ميناثي حيفا وعكا مع قطعة صغيرة من المنطقة الداخلية. وهنالك منطقة تضم قسماً من فلسطين استبقيت لتكون تحت حكم دولي خاص. وبعد خروج روسيا من الحرب في اواخر ١٩١٧م طبقت الاتفاقية التي عرفت باتفاقية سايكس-بيكو على الاراضي العربية فقط. لقد كان هدف اتفاقية سايكس-بيكو الحيلولة دون قيام الوحدة العربية. وتكريس حالة التجزئة التي تعاني منها اليوم امتنا العربية ما تعانيه. لقد كانت الاتفاقية تمثل ظلماً فاضحاً لحق العرب وخيانة واضحة لهم فهي نقض للعهود التي منحت لهم في مراسلات حسين - مكماهون وليس ادل على سوء الاتفاقية الا سريتها، التي فضحها السوفييت بعد قيام ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧م .

٨- لم يكتف البريطانيون بكل هذا بل تآمروا مع الصهاينة على العرب فأصدروا وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م . وقد وضع العرب عامة في موقف صعب من جراء هذا التآمر البريطاني الاستعماري على امانيهم وتطلعاتهم القومية في التحرر والاستقلال، اذ لم يكونوا على استعداد لاحلال استعمار اوربي - صهيوني شرس محل سيطرة عثمانية .

اراد الحلفاء ستر فضيحتهم فبدأوا باطلاق التصريحات والوعود الكاذبة للعرب، فقد صرح الرئيس الامريكي ولسن في ٤ كانون الاول ١٩١٧م بان تقرير المصير سيمنح لشعوب الدولة العثمانية، وتكلم وزير خارجية فرنسا بمثل ذلك. اما بريطانيا فقد سارعت لارسال رجل استخباراتها (هوغارت) الى الشريف حسين في اوائل كانون الثاني ١٩١٨م حيث سلمت مذكرة اعلنت فيها بريطانيا ان الحلفاء ينوون منح العرب مكانة تستحق الذكر في العالم وتأسيس دولة لهم كما انكرت بريطانيا وفرنسا عقد اتفاقية سايكس-بيكو، ووصفوا عملية اماطة اللثام عنها مجرد تلفيق. الا ان ذلك كله لم يطمئن العرب القوميين فألحّ زعماؤهم على بريطانيا بضرورة توضيح موقفها من اماني العرب في الاستقلال والوحدة، فأصدرت هذه بيانا عن سياستها في المشرق العربي في ١٦ حزيران عام ١٩١٨م ، اي بعد ان اصبحت قاب قوسين او ادنى من النصر، جزأت فيه الاراضي العربية الى ثلاثة اجزاء:

أ ـ الاراضي التي حررها العرب انفسهم (اي الحجاز).

ب ـ الاراضي التي سيطرت عليها القوات البريطانية (اي جنوبي فلسطين وولايتي البصرة وبغداد).

جـ ـ الاراضي التي ما زالت تحت سيطرة العثمانيين (وهي سورية ولبنان وولاية الموصل).

٩ ـ ووعدت بريطانيا ان تهتم باستقلال اراضي المجموعة الاولى وبتقرير مصير اراضي المجموعة الثانية وفق رغبات سكانها المحليين، والسعي الى تحرير اراضي المجموعة الثالثة. وبذلك رفضت بريطانيا ضمان وحدة واستقلال الاراضي العربية التي احتلتها لخشيتها من الوحدة العربية ومخاطرها على مصالحها الاستعمارية في وطننا العربي.